دراسات فى الفن :

الحرب والفن

للأستاذ عزيز أحمد فهمى

الشعوب المحاربة بطبعها هى الشعوب التى تسكن الصحارى والمراعى ، وما يشبه الصحارى والمراعى من الأرض القاسية على أبنائها التي لا تجود عليهم برزق كاف أو رزق منتظم ، فيحملهم الفقر على هجرة أرضهم والإغارة على أرض غيرهم لينهبوها ويعودوا إلى أرضهم، أو ليغتصبوها ويستوطنوها سادة لأهلها. فإذا اطمأنوا فى أرضهم الجديدة فإنهم على مر الزمن قالعون عن طبعهم داخلون فى طبعها فلا يبقى لهم من نزوعهم إلى المحاربة إلا ما سمحت به

أما وهم على طبعهم الميال إلى الحرب فإن فنونهم تكون مما يلائم حياتهم . وهم فى حياتهم رحالة ، فقراء ، مقاتلون ؛ وقلقهم الدائم الذى يضطرهم إلى الهجرات المتتابعة لا يخلق عندهم الفنون التى تحتاج إلى أدوات ثقيلة ، وإلى مكان تسكنه . لهذا لم يكن عند القوقاز تماثيل ولا صور ، ولهذا لم يكن عند العرب موسيقى مما يستلزم عزفها الأدوات الثقيلة التى ترحم المحارب فى المحارب . ولهذا لم يكد يكون عند الشعوب المحاربة من الفنون إلا الشعر والغناء والرقص

أما فقر الطبع فسلخ روح الفن نفسها ، فهو يخلق فيهم حباً للمال كما يخلق فيهم زهداً فيه . فهم يحبونه لأنه دليل على البطولة الواجبة للحصول عليه لأنه لا يستخلص إلا بالحرب والمجاهدة؛ وهم يزهدون فيه لأنه ليس دليلاً على شيء من هذا ، فقد يبذل الكريم ماله للمحتاج حتى يفتقر فلا يأسف على ضياعه ولا يمكنه أن يعلن حسرته عليه إلا إذا أراد أن يعرض بأهله وأن يتهمهم بالتخلى عنه حتى ليستشعر الذل ، أو إذا كان هذا الفقر نتيجة لكارثة لم يكن للإنسان يد فى صدها كالطوفان أو الحريق

ودأبهم على المقاتلة يشارك هذا الفقر فى صبغة روح الفن كذلك ، إذ يخلق لهم مُثلاً عليا من البطولة ، والشجاعة ، والكرم والسماحة ، والمروءة ، والعزة ، واحترام الكبير صاحب التجارب مهما هرم وضعف ، واحترام الصغير الضعيف ، واحترام المرأة العاجزة ، إلى غير ذلك من أخلاق الفتوة والفروسية .

ومن أبرز ما تخلقه الطبيعة فى نفوس هؤلاء المحاربين : شدة الإيمان بالقضاء والقدر، وبإسراع هذه الحياة إلى الذهاب ، وبهوان شأن هذه الحياة نفسها ؛ فيخلق هذا فى فنونهم إلى جانب عنفها الأصيل ، روحاً من المرح والمجون والاستخفاف الذى يشبه الطيش أحياناً ، تشجيعاً لهم على الحرب ، وتعزية لهم بين الحرب والحرب .

ويظهر هذا فى الشعر ، كما يظهر فى الغناء، وكما يظهر فى الرقص

أما الشعر ، فتكاد لا تخلو قصيدة جاهلية مما يدل على طبيعة العرب الأولى من ذكر النساء والخمر ، والعبث ... فوق أساسها القائم على الفخر وتعداد المآثر ، ودلائل البطولة ، وأيام النصر

وأما الغناء فلم تجد به الطبيعة على العرب إلا لينفس به أفراد عن خوالج ذواتهم . وذلك أن الطبيعة فى بلاد العرب تكاد تكون بكماء لا تعلم الآذان إلا حسن الإصغاء إلى الصمت ، وذلك على خلاف أوطان القوقاز التى تشارف البحور من بعض أطرافها ، وللبحور أصوات ، والتى تنطوى على الجنات الصغار فى بعض أنحائها ، وفى هذه الجنات مياه وأطيار وأشجار ودواب ، ولكل هذه أصوات ، والتى قد تهب فيها على هذه الجنات نسائم ، وقد تهب رياح ، وللنسائم همسات ، وللزوابع صرخات ؛ وقد تعلم

القوقاز من شدو الطبيعة هذا غناء أوفر مما تسلمه العرب ، فكان لغنائهم ألوان للأفراد ، وألوان للجماعات ، وألوان أخرى لشتى المباهج والأحزان ، وألوان طاوعتهم فى التعبير عن أنفسهم وما فى أنفسهم من الحماسة والفخر والبطولة ... وإلى جانب هذا ، فإن فى غناء القوقاز ما يقوم دليلاً على حبهم للنساء والخمر والعبث

وأما الرقص ففيه هذا كله أيضاً ... فهو رقص بالخناجر والسيوف . وهو ليس إلا تمثيلاً للحرب، فيه من عنفها وحدتها كل عنفها وحدتها ، لا يخففها شىء إلا ما يذكره المحاربون دائماً وهم فى « أوقات الفراغ » من جمال النساء ، وحلاوة الخمر ، وبهجة العبث .

فالراقص العربى والراقص القوقازى يكران ويفران ، ويضربان ويطعنان ، ولكنهما مع هذا يتثنيان ويتخلعان رشاقة وتلطفاً إرضاء للمرأة ، كما يرتشفان الهواء وهما يرقصان ثم يترنحان سكراً أو تمثيلاً للسكر ، كما يهزلان ويخلطان عبثاً ومرحاً ومجوناً

هذه هى فنون الحرب فى الشعوب المطبوعة على الحرب وهى منطلقة بفطرتها فى براح الأرض .

وعند ما تستقر هذه الشعوب تبدأ فيها فنون الاستقرار ، فينشأ الرسم والنحت والخط والعمارة والتمثيل ... ولعل أقرب مثل لهذه الشعوب هو الشعب التركى ، فإنه لم تنشأ عنده هذه الفنون الأخرى إلا عند ما اطمأن فى أوربا ، أما قبل ذلك فقد كان الشعب كله جيشاً ، والجيش لا يملك أن يستقر لفن ما . ولم يظهر النحت فى الحضارة التركية العثمانية لأنها كانت حضارة إسلامية ، ولأن المسلمين ظلوا زمناً طويلاً وهم يكرهون النحت لصلته القديمة بالوثنية الجاهلية التى أقام العرب فيها الأصنام ليعبدوها محاكاة لما كانت تفعله المدنيات التى كانت تطوق جزيرتهم . فالنحت ليس من فنون المحاربين ، ولذلك فإننا لا نراه عند القوقاز الذين لم يتسرب إليهم مثلما تسرب إلى العرب من رشح المدنيات

وعند ما تحارب الشعوب المستقرة بعضها بعضاً ، أو عند ما تصد هذه الشعوب غارة الغازين عليها ، تكف العمارة ، ويكف النحت . وقد كان للرسم أن ينام أيضاً لولا أن الطباعة تمهد له الانتقال الذى يلائم الحرب . وقد كان للتمثيل أن يهدأ كذلك لولا أنه ينقلب دعايات حربية . أما الشعر والغناء والرقص فهى فنون الحرب التى تستطيع مصاحبتها ومعاشرتها فى كل حين .

والعمارة تكف لأن الحرب تهدم القائم المبنى فيما مضى ، وهذا لا يشجع على البناء الجديد ما دام البناء عرضة للهدم ، والنحت يكف لأن صاحبه لن يجد عند ما ينشغل الناس بالحرب من يزوره ليقرأ السلام على تمثاله ، والرسم ليس من فنون الحرب الطبيعية لاستلزامه المكان والأدوات الثقيلة ، وكذلك التمثيل ، بل إن التمثيل يزيد على الرسم امتناعاً فى الحرب لأنه يستلزم بطبعه كثيراً من الهدوء والاستسلام إلى حادثات الزمان ليستخلص منها موضوعات ، والهدوء فى الحرب منعدم ، ولا حوادث فى الحرب إلا هذه المآسى ذات اللون الواحد والطابع الواحد ، وهى مما يحسه الأفراد العاديون إحساساً لا يمتاز عليه إحساس الفنانين امتيازاً كبيراً ، وهى مما يعبر عنه الناس فى كل ساعة بأقوالهم وأفعالهم فهم فى غنى عن ترديده وترجيعه فى رحاب الفن

ولكن الرسم أنقذته الطبيعة فكنته من الحياة فى الحرب ، والتمثيل استعانته الدعاية فأعانها وإنه لقدير على نجدتها

والرسم والتمثيل فنان ، وهما لا يستطيعان متى تيقظا أن يستعصيا على دوافع الحياة ومؤثراتها فلا بد أن يخضعا لما تخضع له فنون الحرب من هذه الدوافع وهذه المؤثرات . ولا بد أن تدب إليهما ما تخلقه الحرب فى الأحياء من الحماسة والفخر بالبطولة والفتوة وسائر فضائل الحرب ، كما يجب أن يشيع فيها الميل إلى النساء والخمر والعبث . فهذا الموكب من الأحاسيس هو الذى تتجند له البشرية فى الحرب

والعالم اليوم فى حرب ، فهل ستنطبع الفنون بهذا الطابع الذى تبصمها به الحرب ؟

قد كان العالم فى حرب منذ ربع قرن . ولقد حدث أن تأثرت الفنون بالحرب ، فتوقفت العمارة والنحت ، وانتعش الشعر بروح الحماسة التى استطاعت بقدرة الله أن تصل حتى إلى مصر وإلى أمير شعرائها الترف المرحوم أحمد شوقى بك فقال :

بنى مصر مكانكمو تهيا ... فيا مهدوا للملك هيا
خذوا شمس النهار له حليا ... ألم تك تاج أولكم مليا ؟

... ومع أن الشعب لم يكن يفهم هذا الكلام « النحوى » فقد أساغه فى لحن صاغه له فرد من أفراده كان فقيهاً يقرأ القرآن فى المقابر ، وكان فقيراً يستعين على الحياة فى محنته بدهن الجدران وطلائها ، وكان يغنى فى المواخير حيث كان يستطيع أن يجد من لا يكبرون على الاستماع إليه وهو المرحوم الشيخ سيد درويش الذى غنى هذا النشيد بين عشرات الأغانى الملتهبة الأخرى

وكما انتعش الشعر بهذه الروح الحماسية : سواء منه العربي والمصري الدارج ، فقد انتعش الغناء بها في العالم كله وفي مصر أيضاً بفضل سيد درويش كذلك ، ولم يبرأ الغناء في العالم كله ، ومصر محسوبة في العالم ، من الإسراف في ذكر النساء والخمر والعبث

أما الرقص فقد جن جنونه في الدنيا ، وكف الراقصون عن التانجو والفالس والفوكس تروت ، وعفرتهم الشارلستون وأمثالها من الرقصات المجنونة الكهربة التي انتشرت في العالم على أثر هدأة الحرب ، والتي أخذها العالم عن الجنود الذين اقتبسوها من زملائهم المحاربين الزنوج الذين كانوا يجمعون من المستعمرات ، فرأوا فيها ما كانت تنزع إليه أجسامهم من الترنح والنزق . وقد مهد لهذه الرقصات الشعواء عند الناس حال النشاط الخارق وتوتر الأعصاب الذي استولى عليهم في الحرب

أما الرسم فقد سخرته الحرب ، فكان من أقوى وسائل الدعاية فيها ، وازدهر منه الكاريكاتير الذي يحتمل سخرية الخصوم بالخصوم ، والذي ينفسح لكل خيال يحلق إليه الرسام

ومع هذا فلم يخل رسم الحرب من النساء والخمر والعبث ، فقد انتشرت في الحرب العالمية الماضية صور النساء العاريات ، والرجال العراة ، كما ذاعت نكات السكارى المصورة وغيرها من النكات...

وكذلك التمثيل فقد احتضنت منه الدعاية جانباً كما احتضن منه المجون جانباً ، فشارلي شابلن ، وبجيدان ، وكشكش بك ، والبربري عثمان ، كلهم من مواليد الحرب ، وقد كانوا جميعاً في تمثيلهم يؤدون واجب الدعاية لأوطانهم وجيوشهم ، كما كانوا جميعاً يروحون عن الناس بتهريجهم . وإذا كانوا قد مثلوا شيئاً بعد الحرب فإن طابع الحرب ظاهر فيه إلى مدى بعيد ، فالعالم لم يستطع أن يتحول بشعوره عن حالة الحرب إلا بعد وقت طويل من خمودها .

والذي يتابع روايات شارلي شابلن يرى أنها أخذت تتخلص شيئاً فشيئاً من التهريج المناسب للحرب ، وتذهب شيئاً فشيئاً إلى نقد الحياة الإنسانية في جوهر نفسها وفي مظاهر اجتماعها حتى كانت روايته الأخيرة «العصر الحديث» نقداً عاماً للإنسانية عامة .

ولكن شارلي لا بد أن يعود إلى فن الحرب منذ اليوم . بل لقد أعلن العالم بروايته «الديكتاتورية» التي سيقارع بها ألمانيا وهتلر والتي أعتقد أن أثرها في النيل منهما سيكون أعظم بكثير من حملة مجردها جيوش كثيرة عليهما ... فإن هذه الرواية ستكون حملة يقود فيها شارلي شعبه الهائل الذي يكاد يشتمل أفراد الإنسانية جميعاً .

وكذلك من يتابع روايات نجيب الريحاني يرى أنها كانت في أيام الحرب دعاية وبهجة وتهريجاً وعرضاً موسيقياً اتسع لثلاث زعامات معه . هي زعامة نجيب الريحاني ، وزعامة بديع خيري ، وزعامة سيد درويش ... ثم أخذ مسرح الريحاني بعد ذلك يهدأ قليلاً قليلاً ، حتى مثل الريحاني في السنوات الأخيرة كوميديات تكاد تكون درامات من كثرة ما فيها من الجد إلى جانب الهزل ، ومن وضوح الهدف الخلقي الذي كانت تنطلق إليه . فقد كان الريحاني أخيراً زعيماً مصرياً اجتماعياً مصلحاً ، هو وشريكه بديع

وأجد الحق يجبرني على أن أشهد بها لله أن مسرح الريحاني هو البيئة الفنية التي تعاشي الحياة الطبيعية في مصر أكثر من غيرها

ولا بد أن يتغير الريحاني في الحرب . ولكنه في هذه المرة لا بد أن يرتقي عما كان عليه في الحرب السابقة ، ولا بد أن يثير الدعابة والتهريج الأصيلين بين درر من سبق ذكرها احمد وفن الجد ، وإن له في شارلي شابلن أستاذه أو زميله الكبير أسوة

فإذا كان حال الفنون في الحرب العالمية الماضية هو هذا الحال الذي رأيناه فسيكون إذن حال الفنون هو هذا الحال نفسه في هذه الحرب العالمية القائمة إذا طال أمدها وتمكنت مؤثراتها من النفوس ؛ وستكون هذه هي الحال في فنون الدنيا كلها ، فإذا لم تظهر مثل هذه الفنون في مصر فإن مصر إذن خالية من الفنانين ...

وكل هؤلاء الذين يقولون نحن ونحن ... عليهم أن يقرءوا في الغابي وعلى أفواههم السكامات ... فهذا هو مجال الفن إذا كانوا يعرفون أثر الحرب

— فإذا لم يكونوا يحسون الحرب ؟ !

— فقد يحسون القيامة ... قد آتي إلى يوم يبعثون !

عزيز أحمد فهمي

معهد التناسليات
معهد التناسليات تأسيس الدكتور ساجنوس الخبير بشفاء فرع القاهرة بعمارة روفيه رقم ٤٦ شارع المبتديان تليفون ٥٧٨ بولاق أبو العلا يعالج الأمراض التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وجميع أمراض الجلد والزهري والأمراض التناسلية والعقم عند الرجال والنساء وجميع أمراض الجلد والزهري . ويعالج بصفة خاصة : زيادة الحساسية طبقاً لأحدث الطرق العلمية والعيادة من ١٠-١ ومن ٤-٦ . ملاحظة : يمكن إرسال الأدوية بالبريد للقصير بعيداً عن القاهرة بعد أخذ الجواب على مجموعة الأمراض السيكولوجية المجانية على ١٤١ سؤالاً التي يمكن الحصول عليها بقرش

تناولوا

الشاى المثلج

فى فصل الصيف

منعش مرطب

للجسم مفيد

للصحة

طريقة عمله

جمد شايا قصيدة واسكبه على مسحوق الثلج ثم اضف

اليه السكر والليمون او الليمون حسب ما يلائم ذوقك

الشاى الجيد وارد الهند وسيلان وجاوه وسومطرا